- ٢٤ -
شروط المفسِّر وآدابه

البحث العلمى النزيه أساس المعرفة الحقة التى تعود على طلابها بالنفع ، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل ، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأى باحث أمر له اعتباره فى نضج ثماره ودنو قطوفه ، والبحث فى العلوم الشرعية عامة وفى التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه ، حتى يصفو مشربه ، ويحفظ روعة الوحى وجلاله .

شروط المفسِّر

وقد ذكر العلماء للمفسِّر شروطًا نُجملها فيما يأتى :

١ - **صحة الاعتقاد** : فإن العقيدة لها أثرها فى نفس صاحبها ، وكثيراً ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة فى نقل الأخبار ، فإذا صنَّف أحدهم كتابًا فى التفسير أوَّل الآيات التى تخالف عقيدته ، وحمَّله باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السَلَف ، ولزوم طريق الهُدى .

٢ - **التجرد عن الهوى** : فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم ، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان ، كدأب طوائف القدرية والرافضة والمعتزلة ونحوهم من غلاة المذاهب .

٣ - **أن يبدأوا أولاً بتفسير القرآن بالقرآن** : فما أُجْمِلَ منه فى موضع فإنه قد فُصِّلَ فى موضع آخر ، وما اخْتُصِرَ منه فى مكان فإنه قد بُسِطَ فى مكان آخر .

٤ - **أن يطلب التفسير من السُّنَّة** : فإنها شارحة للقرآن موضحة له ، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر منه عن طريق الله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (١) . . وذكر الله أن السُّنَّةَ مبيِّنة للكتاب : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

---

(١) النساء : ١٠٥

(٢) النحل : ٤٤

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألا إنى أوتيتُ القرآن ومثله معه » يعنى السُّنَّة . وقال الشافعى رضى الله عنه : « كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن » وأمثلة هذا فى القرآن كثيرة - جمعها صاحب « الإتقان » مرتبة مع السور فى آخر فصل من كتابه كتفسير « السبيل » بالزاد والراحة ، وتفسير « الظلم » بالشرك ، وتفسير « الحساب اليسير » بالعرض .

٥ - **فإذا لم يجد التفسير من السُّنَّة** : رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح .

٦ - **فإذا لم يجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنَّة ولا فى أقوال الصحابة** : فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحَّاك ابن مزاحم ، وغيرهم من التابعين ، ومن التابعين مَن تلقى جميع التفسير عن الصحابة ، وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال ، والمعتمَد فى ذلك كله النقل الصحيح ، ولهذا قال أحمد : « ثلاث كتب لا أصل لها : المغازى ، والملاحم ، والتفسير » يعنى بهذا : « التفسير الذى لا يعتمد على الروايات الصحيحة فى النقل .

٧ - **العلم باللُّغة العربية وفروعها** : فإن القرآن نزل بلسان عربى ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب» .

والمعانى تختلف باختلاف الإعراب ، ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو، والتصريف الذى تُعرف به الأبنية ، والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها ، وخواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، ومن حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، ثم من ناحية وجوه تحسين الكلام - وهى علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع - من أعظم أركان المفسِّر ، إذ لا بد له من مراعاة ما يتقضيه الإعجاز ، وإنما يُدْرَك الإعجاز بهذه العلوم .

٨ - **العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن** : كعلم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويترجح بعض وجوه الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد ، حتى لا يؤول آيات الكتاب التى فى حق الله وصفاته تأويلاً يتجاوز به الحق ، وعلم الأصول ، وأصول التفسير خاصة مع التعمق فى أبوابه التى لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها ، كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، ونحو ذلك .

٩ - **دقة الفهم** : التى تُمكِّن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة .

* * *

آداب المفسِّر

١ - **حسن النية وصحة المقصد** : فإنما الأعمال بالنيات ، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام ، وإسداء المعروف لصالح الإسلام ، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدِّد الله خُطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص فيه .

٢ - **حسن الخُلُق** : فالمفسِّر فى موقف المؤدِّب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها فى النفس إلا إذا كان المؤدِّب مثالاً يُحتذى فى الخُلُق والفضيلة ، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الاستفادة مما يسمع أو يقرأ وتقطع عليه مجرى تفكيره .

٣ - **الامتثال والعمل** : فإن العلم يجد قبولاً من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه - وحسن السيرة يجعل المفسِّر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين ، وكثيرًا ما يصد الناس عن تلقى العلم من بحر زاخر فى المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه .

٤ - **تحرى الصدق والضبط فى النقل** : فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون فى مأمن من التصحيف واللَّحن .

٥ - **التواضع ولين الجانب** : فالصلف العلمى حاجز حصين يَحُول بين العالِم والانتفاع بعلمه .

٦ - **عزة النفس** : فمن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور ، ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف .

٧ - **الجهر بالحق** : فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

٨ - **حسن السمت** : الذى يُكسب المفسِّر هيبة ووقارًا فى مظهره العام وجلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف .

٩ - **الأناة والرويَّة** : فلا يسرد الكلام سردًا بل يُفَصِّله ويبين عن مخارج حروفه .

١٠ - **تقديم مَن هو أولى منه** : فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء ، ولا يغمطهم حقهم بعد الممات ، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم .

١١ - **حسن الإعداد وطريقة الأداء** : كأن يبدأ بذكر سبب النزول - ثم معانى المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذى يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبيِّن المعنى العام ويصله بالحياة العامة التى يعيشها الناس فى عصره ، ثم يأتى إلى الاستنباط والأحكام .

أما ذكر المناسبة والربط بين الآيات أولاً وآخرًا فذلك حسب ما يقتضيه النظم والسياق .

* * *

obeikandl.com